Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتحدث وديع عساف عن أسفاره إلى أوربا بالبحر والطائرة مفضلا البحر . « لا لأن البحر هو دنيا وحسب ، بل لأن السفينة تشعرك جسديًّا بانسيابك خلال الزمان والمكان معًا » . ولأن البحر يوحى بالمغامرة . بل إن الانزلاق إلى عرض البحر عند وديع عساف أشبه بانطلاق النفس فى رحاب الفضاء أو الدخول إلى الجنة ، ويذكره بحلم العودة عندما تنداح ذكرياته عبر تيار الوعى مصورًا وقائع المأساة الفلسطينية وضياع القدس . وعندما يقفز رجل إلى البحر قاصدًا الانتحار ، يفكر وديع عساف بأن هذا هو الخلاص بالأمواج ، عندما تسأله « لمى » : « أين يهرب الإنسان ؟ « يرد إلى الموج » . بل إنه ليرى أن البحر الأبيض المتوسط يفرض على سكانه التشبث بالحياة لذا هم لا ينتحرون .

فالتداعى عبر تيار الوعى هو الأداة الفنية المسيطرة فى الرواية التى تشكل موضوعها ومعمارها الفنى ، وعبرها تنساب الأحداث والذكريات وتتجاور وتتداخل الأزمنة والأمكنة والشخصيات وتضىء بنورها الكاشف تاريخ الشخصيات وعالمها الخاص والعام ، محدثة كثافة وعمقاً وثراءً لرواية السفينة مما حقق للرواية اتساعاً وشمولية باتساع الحياة والكون والثقافة والفن والسياسة ، فجعلتها من الروايات العربية القليلة التى تستخدم البناء الروائى بكل معطياته وشموليته . ولعل أكثر ما ضاعف من ثراء رواية « السفينة » وشموليتها ، معمارها الفنى وثقافة مؤلفها جبرا إبراهيم جبرا الناقد والفنان ، وجمعها بين تيار الوعى وتبادل الشخصيات القص والحديث ، مما أضفى أضواءً متعددة على الأحداث والشخصيات وادخر الكثير من المفاجآت التى تقفز مع كل تناول جديد ورؤية جديدة لشخصيات الرواية ، كما أن أسلوب القطع والتداخل أتاح للروائى الاغتراف من ماضى الشخصيات وتطويرها ونموها . وهذا هو ما ميز الرواية بالحداثة الفنية وخلصها من عيوب الرواية التقليدية . فلا وجود فى « السفينة » للراوى التقليدى الثرثار المطلع على كل شىء أو للزمن المسلسل أو الاستطراد والحشو أو التعليقات المباشرة . بل إن الروائى ، كما يحدث فى الرواية العالمية الحديثة ، لم يظهر بشكل مباشر ، ربما تخفى حول شخصياته وأقربها إليه شخصية الفلسطينى وديع عساف واكتفى بتقديم المشاهد والشخصيات على لسان شخصياته .

وتتجمع كل الشخصيات والفلسفات والذكريات فوق البحر الذى يتسلل إلى أعماقها ، ويشكل رؤاها وأحلامها . وإذا كان ركاب السفينة يهربون من مقدمتها ومؤخرتها خوفاً من ارتفاعها وهبوطها ، فإن شخصيات الرواية تألف البحر وتحبه ولا تخشى الدوار ، لأنها تعشق